"خمسة أنبياء بشر الله تعالى بهم قبل أن يولدوا ، واختار أسماءهم"

دراسة موضوعية

د. ظافر بن سعد بن سعيد الشهري

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

"خمسة أنبياء بشر الله تعالى بهم قبل أن يولدوا، واختار أسماءهم" دراسة موضوعية

ظافر بن سعد بن سعيد الشهري
قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية
البريد الإلكتروني : dr.dafer.2011@hotmail.com

الملخص:

قد أرسل الله تعالى الرسل بالبشارة لمن وحد الله بالجنة، وبالنذارة لمن أشرك بالله بعذاب النار، وأرسل الله الرسل لإقامة الدين، والنهي عن التفرّق فيه، وتبشير الرسل وإنذارهم دنيوي وأخروي، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة، ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي وهؤلاء الرسل اصطفاهم الله تعالى من خلقه، وكان من بين هؤلاء الرسل من بشرهم الله تعالى وهم في وقت قد زالت من عندهم أسباب الذرية وصاروا شيخوخه فانية، مع امرأة عاقر لَا تلد كإبراهيم ـ عليه السلام ـ مع زوجته سارة، فبشرهما الله تعالى بإسحاق ومن بعده يعقوب ـ عليهما السلام ـ ، وكزكريا ـ عليه السلام ـ مع زوجته، فبشره تعالى بيحيي، أو ابنا لأم من غير أب لم يولد لإنسان من الناس على صورة مثل صورته، وهو «المسيح» وقد سماهم الله تعالى بنفسه، أو نبيا بشر به جميع الأنبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم، لأجل هذا جعلت عنوان بحثي: "خمسة أنبياء بشر الله تعالى بهم قبل أن يولدوا، واختار أسماءهم" وترجع أهمية هذا الموضوع إلى ارتباط القرآن الكريم بأي دراسة يضفي عليها مزيداً من الفضل والأهمية؛ لتميزه بكونه موردًا خصباً للأبحاث والدراسات بغية الكشف عن مكنوناته وكوامنه. وأن هذه الدراسة تتعلق ببعض صفوة الخلق وهم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وطبيعة البحث تتطلب استخدام المنهجين الاستقرائي، والاستنباطي، بحيث يستقرئ الباحث الآيات التي تضمنت التبشير بأسماء الأنبياء قبل الولادة ثم يستنتج الفوائد والمعاني من تلك الآيات .وأود أن أشير إلى أن جميع الرسالات السماوية بشرت بنبوة خير البشر صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية : "خمسة أنبياء ، بشر الله تعالى بهم ، قبل أن يولدوا، واختار أسماءهم"

"Five Prophets Whom God Almighty Gave Good Tidings of Before They Were Born, and Chose Their Names" An Objective Study

Dhafer bin Saad bin Saeed Al-Shahri
Department of the Qur'an and Its Sciences, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Saudi Arabia
Email: **dr.dafer.2011@hotmail.com**

Abstract
God Almighty sent the Messengers with good tidings for those who believed in the Oneness of God of Paradise, and with warnings for those who associated partners with God of the torment of Hell. God sent the Messengers to establish the religion and forbid division in it. The Messengers' good tidings and warnings are worldly and otherworldly. In this world, they give good tidings to the obedient of the good life, and warn them of worldly torment and destruction. These Messengers were chosen by God Almighty from among His creation. Among these Messengers were those whom God Almighty gave good tidings to while they were at a time when the causes of offspring had disappeared from them and they had reached their senility, with a barren woman who could not give birth, like Abraham - peace be upon him - with his wife Sarah, so God Almighty gave them good tidings of Isaac and after him Jacob - peace be upon them - and like Zechariah - peace be upon him - with his wife. So God Almighty gave him good news of Yahya, or a son of a mother without a father who was not born to any human being in a form like his, and he is "the Messiah" and God Almighty named them himself, or a prophet that all the prophets gave good news of, and he is Muhammad, may God bless him and grant him peace. For this reason, I made the title of my research: "Five prophets whom God Almighty gave good news of before they were born, and He chose their names." The importance of this topic is due to the connection of the Holy Qur'an with any study that adds more merit and importance to it; for it is distinguished by being a fertile source for research and studies in order to uncover its secrets and hidden aspects. And that this study is related to some of the elite of creation, who are the prophets - peace be upon them - and the nature of the research requires the use of the inductive and deductive methods, so that the researcher studies the verses that included the good news of the names of the prophets before birth, then deduces the benefits and meanings from those verses. I would like to point out that all the heavenly messages gave good news of the prophethood of the best of mankind, may God bless him and grant him peace.

Keywords: "Five prophets whom God Almighty gave glad tidings of before they were born, and He chose their names

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله الأمي الأمين.

وبعد

فلقد أرسل الله تعالى الرسل بالبشارة لمن وحد الله بالجنة، وبالنذارة لمن أشرك بالله بعذاب النار، وأرسل الله الرسل لإقامة الدين، والنهي عن التفرّق فيه، يقول تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }(سورة الشورى: ١٣) وأرسل الله الرسل للتبشير والإنذار، فقال سبحانه: { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ }(سورة الأنعام: ٤٨٣)، وتبشير الرسل وإنذارهم دنيوي وأخروي، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً }(سورة النحل: ٩٧)، ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي: { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } (سورة فصلت: ١٣) وهؤلاء الرسل اصطفاهم الله تعالى من خلقه، قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} (من سورة الحج: ٧٥) وكان من بين هؤلاء الرسل من بشرهم الله تعالى وهم في وقت قد زالت من عندهم أسباب الذرية وصاروا شيخوخه فانية، مع امرأة عاقر لَا تلد كإبراهيم ـ عليه السلام ـ مع زوجته سارة، فبشرهما الله تعالى بإسحاق ومن بعده يعقوب ـ عليهما السلام ـ ، وكزكريا ـ عليه السلام ـ مع زوجته، فبشره تعالى بيحيي، أو ابنا لأم من غير أب لم يولد لإنسان من الناس على صورة مثل صورته، وهو «المسيح» وقد سماهم الله تعالى بنفسه، أو نبيا بشر به جميع الأنبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم، لأجل هذا جعلت عنوان بحثي: "خمسة أنبياء بشر الله تعالى بهم قبل أن يولدوا، واختار أسماءهم"

أهمية الموضوع وأسباب اختيار الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره لعدة أمور أهمها ما يلي:

أولاً: ارتباط القرآن الكريم بأي دراسة يضفي عليها مزيداً من الفضل والأهمية؛ لتميزه بكونه موردًا خصباً للأبحاث والدراسات بغية الكشف عن مكنوناته وكوامنه.

ثانيًا: أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة وهو الأنبياء الذين سماهم الله تعالى بنفسه قبل أن يولدوا.

ثالثًا: أن هذه الدراسة تتعلق ببعض صفوة الخلق وهم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

رابعًا: بيان الحِكَمِ العظيمة والغايات الجليلة من تسمية الله تعالى بنفسه للأنبياء المذكورين في البحث .

خامسًا: إبراز أساليب القرآن الكريم في وصف المبشر والمبشر به.

سادسًا: عدم وجود دراسة شاملة ومستوفاة للأنبياء الذين سماهم الله تعالى بنفسه قبل أن يولدوا.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في السجلات الخاصة بالرسائل والأبحاث العلمية، وعبر الشبكة العنكبوتية ـ الإنترنت ـ وفهارس وكشافات الدراسات القرنية؛ لم أقف على دراسات سابقة جامعة مستقلة بهذا الموضوع وإنما هي إشارات مبثوثة في التفاسير القرآنية، وكتب اللغة.

منهج البحث:

طبيعة البحث تتطلب استخدام المنهجين الاستقرائي، والاستنباطي، بحيث يستقرئ الباحث الآيات التي تضمنت التبشير بأسماء الأنبياء قبل الولادة ثم يستنتج الفوائد والمعاني من تلك الآيات .

هيكل البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تناولت الحديث فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة ومنهجه، وهيكل البحث.

وأما التمهيد:

فيشتمل على ما يأتي:

أولًا: تعريف البشارة في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: أنواع البشارات في القرآن الكريم.

ثالثا: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الأول: المبشر والمبشر به في القران الكريم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تبشير إبراهيم بإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ.

المطلب الثاني: تبشير زكريا بيحيى ـ عليهما السلام ـ.

المطلب الثالث: تبشير مريم بعيسى ـ عليهما السلام ـ.

المطلب الرابع: تبشير عيسى ـ عليه السلام ـ بمحمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: أسباب البشارة بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم من الأنبياء، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب تبشير إبراهيم بإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ.

المطلب الثاني: سبب تبشير زكريا بيحيى ـ عليهما السلام ـ.

المطلب الثالث: سبب تبشير مريم بعيسى ـ عليه السلام ـ.

المطلب الرابع: سبب تبشير عيسى ـ عليه السلام ـ بمحمد صلى الله عليه وسلم لبني إسرائيل.

المبحث الثالث: أثر البشارة بالولادة على المبَشَّر، وفيه مطالب:

المطلب الأول: أثر البشارة بإسحاق ويعقوب ـ عليهما السلام ـ على إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

المطلب الثاني: أثر البشارة بيحيى ـ عليه السلام ـ على نبي الله زكريا ـ عليه السلام ـ.

المطلب الثالث: موقف مريم عندما بشرت بعيسى ـ عليهما السلام ـ.

المطلب الرابع: موقف عيسى ـ عليه السلام ـ عندما بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: سبب تسمية كل من بشر به قبل المولد باسمه.

وبعد

فما كان في هذا البحث من جهد وتوفيق فمن الله وحده، وما كان من قصور فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منه، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وأخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيـــــــــــــــد

ويشتمل على ما يأتي:

أولًا: تعريف البشارة في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: أنواع البشارات في القرآن الكريم

ثالثًا: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

أولاً: تعريف البشارة في اللغة والاصطلاح:

البشارة في اللغة: الإخبار بما يسر. وقد تستعمل في الإخبار بما يضر، ومنه قوله تعالى: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} لكن الأكثر الأول، واستعمالها فيما يضر استهزاء وسخرية.

ويقال للخبر السارّ: البِشارة والبُشْرَى[١].

البشارة في الاصطلاح:

عرف الجرجاني البشارة بقوله: "البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب"[٢].

وقال الرازي في تعريف البشرى: "هي عبارة عن الخبر الدال على حصول الخير العظيم [٣].

وعرف الطاهر ابن عاشور البشرى بأنها: "خبر بحصول ما فيه نفع ومسرة للمخبر به" [٤].

من خلال ما سبق من تعريفات للبشرى في الاصطلاح يتبين أنها عبارة عن نقل الأخبار المفرحة التي تحمل في طياتها النفع والمسرة والاستبشار بحصول الخير.

---

(١) المفردات في غريب القرآن،(١٢٥)

(٢) التعريفات: (١٦٥).

(٣) مفاتيح الغيب: (٦١٣/٣).

(٤) المفردات في غريب القرآن،(١٢٥)

ثانيًا: أنواع البشارات في القرآن الكريم:

تنوعت البشارات في القرآن الكريم إلى بشارات متعددة ففيه البشارات الدنيوية وفيه البشارات الأخروية، كما جاء فيه بشارات عامة وهي ذكر المبشر دون المبشر به، وبشارات خاصة ـ وهذا هو موضوع البحث ـ وهي ذكر المبشر والمبشر به:

البشارات العامة كبشارة المقيمين الصلاة في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (سورة يونس: ٨٧)

وكبشارة المجاهدين في سبيل الله كقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }(سورة الصف: ١٠ـ١٣)

وكبشارة الموفين بعهدهم مع الله كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (سورة التوبة: (١١١\١١٢)

والبشارات الخاصة

كالتبشير بالولد، كتبشير إبراهيم بإسحاق مع كبر سنه وامراته العجوز في قوله تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ } (سورة الصافات: ١١٢)

وكتبشير زكريا بيحيي ـ عليهما السلام ـ مع كبر سنه وامرأته عاقر، قال تعالى:

{ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا } (سورة مريم: ٧)

وتبشير مريم بعيسى ـ عليهما السلام ـ ، قال تعالى: { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } (سورة ال عمران: ٤٥)

وكتبشير عيسى ـ عليه السلام ـ بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ } (سورة الصف:٦)

ثالثًا: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

النبي في اللغة: مشتق النبأ وهو الخبر قال تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ}(سورة النبأ: ١-٢).

وقيل: "إن النبوة مشتقة من "النبوة" وهي المكان المرتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدي بها، والرابط بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضح ذلك أن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء كما هو معلوم أشرف خلق الله وهم الأعلام التي يهتدي بها العباد فيما يكون فيه صلاح دينهم ودنياهم"[(١)].

وقد جاءت كلمة نبي في القرآن على قراءتين متواترتين: الأولى (النبي) بالياء.

والثانية (النبيء) ، (يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ) .

والفرق بين (النبي) و(النبيء) أنَّ النبيء هو من نُبِّئَ .

وكلا الأمرين حاصل في النبي ؟ وفي كل نبي، فهو مرتفع ولأجل ذلك فهو نبي،

(١) ينظر: الصحاح، للجوهري: (٢٥٠٠/٦)، ولسان العرب: (٣٠٢/١٥)، والمصباح المنير: (٥٩١/٢).

وهو مُنَبَأٌ ولأجل ذلك فهو نبيءٌ.

ولهذا نقول إن كلمة (نبي) صارت من الرفعة لأجل (نبيء) لأجل أنه نبيء؛ يعني أنه نُبِّئَ فصار في نَبْوَةٍ وارتفاع عن غيره من الناس.

تعريف النبي في الاصطلاح:

هو الذي ينبئه الله بأن يعمل بشريعة من قبله ولم يرسل إلى كفار خالفوا أمر الله ليبلغهم رسالة من الله إليهم وقد يُوَحى إليه وحيٌ خاص في قصة معينة فالأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين بهم"[١].

الفرق بين النبي والرسول:

اختلف العلماء في التفريق بين النبي والرسول وتنوعت فيه المذاهب، أرجحها:

أنَّ النبي والرسول بينهما فرق، وهو أنَّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، وهذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنة، وفرقوا بين النبي والرسول: أن الرسول إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه . والنبي إنسان ذكر أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه .

وكل من النبي والرسول يوحى إليه، لكن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة؛ كأنبياء بني إسرائيل؛ يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة . وأما الرسل؛ فإنهم يبعثون في قوم كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته؛ فهم يرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم[٢].

(١) كتاب النبوات ، ابن تيمية: (ص٢٥٥، ٢٥٦).

(٢) كتاب النبوات ، ابن تيمية: (ص٢٥٥، ٢٥٦).

المبحث الأول: المبشر والمبشر به في القران الكريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تبشير إبراهيم بإسحاق ويعقوب عليهم السلام

نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ أحد أولي العزم الخمسة الكبار الذين أخذ الله منهم ميثاقا غليظا، وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين، بلاء فوق قدرة البشر، ورغم شدة المحنة وقسوة البلاء، كان إبراهيم هو العبد الذي وفى، وزاد على الوفاء بالإحسان. قال تعالى في سورة النجم: { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } (سورة النجم:٣٧)،

وقد كرم الله تبارك وتعالى إبراهيم ـ عليه السلام ـ تكريما خاصا، فجعل ملته هي التوحيد الخالص النقي من الشوائب. وجعل العقل في جانب الذين يتبعون دينه. قال تعالى في سورة البقرة:

{ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } (سورة البقرة:١٣٠)،

وأثنى الله سبحانه على إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال في سورة النحل: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (سورة النحل:١٢٠)،

وكان من فضل الله على إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن جعله الله إماما للناس. وجعل في ذريته النبوة والكتاب. فكل الأنبياء من بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ هم أولاده وأحفاده، وتحقق وعد الله له فلم يبعث بعده نبي إلا جاء من نسله.

حتى إذا جاء آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، جاء تحقيقا واستجابة لدعوة إبراهيم التي دعا الله فيها أن يبعث في الأميين رسولا منهم.

ولو مضينا نبحث في فضل إبراهيم وتكريم الله له، لملأتنا الدهشة، نحن أمام بشر جاء ربه بقلب سليم. إنسان لم يكد الله يقول له أسلم حتى قال: { أسلمت لرب العالمين }.

نبي هو أول من سمانا المسلمين، نبي أثمرت دعوته المستجابة عن بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

نبي كان جدا وأبا لكل أنبياء الله الذين جاءوا بعده، نبي هادئ متسامح حليم

أواه منيب، قال تعالى في سورة هود: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ } (سورة هود:٧٥)،

وعندما خرج إبراهيم ـ عليه السلام ـ من بلده وبدأ هجرته. سافر هو وزوجته، المرأة الوحيدة التي آمنت به. وصحب معه لوطًا، الرجل الوحيد الذي آمن به، قال تعالى في سورة العنكبوت:

{ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (سورة العنكبوت:٢٦)،

وكانت زوجته سارة لا تلد، وقد أهداها ملك مصر سيدة مصرية لتكون في خدمتها. وقد صار إبراهيم شيخًا، وابيض شعره من خلال عمر أبيض أنفقه في الدعوة إلى الله، فكرت سارة أنها وإبراهيم وحيدان، وهي لا تنجب أولادًا، ماذا لو قدمت له السيدة المصرية لتكون زوجةً له؟ وكان اسمها "هاجر". وهكذا، زوجت سارة سيدنا إبراهيم من هاجر، وولدت هاجر ابنها الأول فأطلق عليه والده اسم "إسماعيل" ـ عليه السلام ـ ، وكان أبا للعرب، ثم بعد ذلك أنجبت سارة إسحاق ـ عليه السلام ـ.

وقد ذكره الله تعالى بالصفات الحميدة وجعله نبيًا ورسولا، وبرأه من كل ما نسبه إليه الجاهلون، وأمر الله قومه بالإيمان به كغيره من الأنبياء والرسل، وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الله إسحاق وأثنى عليه عندما قال: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ) [(١)].

فهؤلاء الأنبياء الأربعة الذين مدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أنبياء متناسلون، ولا يوجد بين الناس أنبياء متناسلون غيرهم وهم يوسف ويعقوب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى:{ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين } (١٨٣/١١)، حديث رقم: ٣١٣٨.

وإسحاق وإبراهيم ـ عليهم السلام ـ.

قال تعالى: { وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} (سورة هود ٦٩ـ٧٣)

قال المفسرون: قال جبريل لسارة: أَبْشِري أيتها الضاحكة بولد اسمه إسحاق، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، فبشروها أنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد[١].

المطلب الثاني: تبشير زكريا بيحيي عليهما السلام

ورد اسم النبي زكريا في القرآن الكريم في سبعة مواضع. ووردت أحداث قصته في ثلاث سور قرآنية، هي: سورة آل عمران، وسورة مريم، وسورة الأنبياء. وجاءت هذه القصة مفصلة في سورة مريم أكثر من السورتين الأخريين.

ينتهي نسب النبي زكريا ـ عليه السلام ـ إلى يعقوب بن إسحاق ـ عليهما السلام ـ. وكان عهد النبي زكريا قريبا من عهد النبي عيسى ـ عليه السلام ـ ؛ ويدل على ذلك قول الله عز وجل في قصة مريم أم عيسى ـ عليهما السلام ـ: {وكفلها زكريا} (سورة آل عمران:٣٧).

وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (كان زكريا نجاراً) [٢].

(١)زاد المسير ابن الجوزي: (٣٨٧/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٦٤٥/٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

يقص علينا القرآن الكريم نبأ النبي زكريا ـ عليه السلام ـ عندما تقدم به العمر، وأخذ الشيب من رأسه كل مأخذ، وكانت زوجته أيضاً قد تقدم بها السن، ولم تلد له من الولد ما تقر به عينه، ويحمل من بعده اسمه. فها هو عما قريب سوف يطوي صفحة الأيام، ويمضي إلى حياة أخرى غير هذه الحياة. فمن الذي سيقوم على وراثة حكمته، والاضطلاع بأمانته؟

وقد عبر القرآن عن هذه الحالة التي كان يعاني منها زكريا بقوله: {قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا} (مريم:٤-٦).

قال ابن كثير: "وجه خوفه: أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً، فسأل الله ولداً".

فبشره الله تعالى بيحيى ـ عليه السلام ـ بعد أن استجاب دعاءه فقال : { يا زكريآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسمه يحيى } فتضمنت هذه البشارة ثلاثة أشياء : أحدها : إجابة دعائه وهى كرامة. الثاني : إعطاؤه الولد وهو قوة. الثالث: أن يفرد بتسميته."[١] .

وفي قوله يبشرك بيحيى وجهان الأول: أنه تعالى كان قد عرف زكريا أنه سيكون في الأنبياء رجل اسمه يحيى وله ذرية عالية، فإذا قيل: إن ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان ذلك بشارة له بيحيى ـ عليه السلام ـ والثاني: أن الله يبشرك بولد اسمه يحيى[٢].

ومن صفات يحيي ـ عليه السلام ـ أنه كان غلاماً ذكياً، أحكم الله عقله، وآتاه الحكم صبياً، عاشقاً للعبادة، عاكفاً في محراب العلم، محصياً لمسائل التوراة،

(١) تفسير القرطبي (٨٢/١١).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢١١/٨).

مستجلياً لغوامضها، محيطاً بأصولها وفروعها، فيصلاً في أحكامها، قاضياً في معقولها، قوَّالاً في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يهاب صولة عاتٍ ظالم.

وقد جاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يحيى بن زكريا، قلنا: يا رسول الله! ومن أين ذاك؟ قال: أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن، فقال: {يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا} (سورة مريم:١٢)، فقرأ حتى بلغ: {وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين} (سورة آل عمران:٣٩)، لم يعمل سيئة قط، ولم يهم بها[١].

المطلب الثالث: تبشير مريم بعيسى عليهما السلام

نص القرآن الكريم أن عيسى ـ عليه السلام ـ عبد من عباد الله، خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات. إنه قد خُلق من دون أب كما خُلِقَ آدم من دون أبٍ أو أم. قال الله ـ تعالى ـ: {إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون}(سورة يس:٨٢).

ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى»[٢]. وهذه دلالة على تفرّدهما ومكانتهما الرفيعة.

كذلك روى الإمام مسلم، أن النبي ﷺ قال: «كل إنسان تلده أمه على

(١) أخرجه البزار: (٣٦٦/١) عن محمد بن الوليد البغدادي، عن محمد بن جهضم، عن سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو. وهذا سند رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين إلا محمد بن الوليد البغدادي فقد روى له النسائي وقال: لا بأس به.

(٢) أخرجه الطبري بهذا اللفظ: (٢٣٩/٣) من طريق ابن وهب، عن ابن أبي ذئب، بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، (١٢٥/٤) حديث رقم: ٣٢٨٦ بلفظ: " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب".

الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين، فمسلم كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها»[١]. فهذا يؤكد عدم مسّ الشيطان لعيسى ـ عليه السلام ـ ومريم ـ عليها السلام ـ.

وكانت السيدة مريم في المسجد الأقصى وحدها، والمسجد خالٍ من الناس، عندما فوجئت برجل أمامها، ولم يكن هناك أحد يدخل عليها سوى زكريا ـ عليه السلام ـ. استدعت بها الخوف واستعاذت بالله، فقالت: {إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً} كما ورد في سورة مريم. ليؤكد لها هذا الشخص أنه جبريل ـ عليه السلام ـ ، ملك جاء بأمر من الله ليهب لها الغلام العظيم.

سألته مريم مندهشة: {أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً} فأكد لها جبريل ـ عليه السلام ـ أن هذه إرادة الله، وأن ولدها سيكون معجزة للناس وآية على قدرة الله عز وجل، ثم نفخ فيها نفخة فحملت مريم.

فحملت مريم بعيسى ـ عليه السلام ـ بأمر الله دون أن يمسها بشر، عندما شعرت مريم بالحمل في بطنها، أحست بالكرب والضيق الشديد لأنها علمت أن كثيراً من الناس سيتكلمون في حقها، وهي مريم العفيفة الطاهرة. وكان أول من لاحظ عليها الحمل هو زكريا ـ عليه السلام ـ ، فطلب منها أن يعرف حقيقة ما حدث. فأخبرته مريم بما حدث لها، فصدقها زكريا ـ عليه السلام ـ ؛ لعلمه بعفتها ونقائها.

ومع اكتمال شهور الحمل وشيوع الخبر بين الناس، خافت مريم على نفسها، فخرجت من المسجد وسارت خارج المدينة حتى حانت ساعة الوضع وبدأت آلامه. فلجأت إلى جذع النخلة، تستند إليه، وهي تقول في حزن شديد: {يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيا} (سورة مريم: ٢٣).

(١)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٤٨/٤)، حديث رقم: ٢٦٥٨.

ثم وضعت مريم حملها، طفلاً جميلاً، كانت تتمنى أن تفرح به، ولكن الحزن يملأ قلبها، حتى سمعت صوتاً يناديها، فقال تعالى: {ألا تحزني} (سورة مريم: ٢٤).

فالتفتت مريم فلم تجد أحدًا، فظنت أنه جبريل، ـ عليه السلام ـ ثم شعرت مريم بالجوع والعطش، فسمعت نفس الصوت يقول لها: {قد جعل ربك تحتك سرياً – وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا – فكلي واشربي وقرّي عينًا"} (سورة مريم: ٢٤ـ٢٦).

فأكلت مريم وشربت، ثم نظرت إلى رضيعها وحملته بين يديها واحتضنته وهي تفكر: ماذا ستقول لأهلها عن هذا المولود؟ فجاء إليها الجواب، فقال تعالى:

{فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسياً} (سورة مريم: ٢٦).

فعلمت مريم أنها أمام معجزة، وأن الله سيدافع عنها، فاطمأنت.

وعندما رجعت مريم إلى بيت المقدس، ورآها بنو إسرائيل، فوجهوا إليها الاتهامات والافتراءات. قابلت مريم هجومهم عليها بالصمت والصبر، وجاءت الإجابة على جميع تساؤلاتهم من الرضيع موضحاً براءة أمه الطاهرة.

فقال لهم: {إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً – وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا – وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقياً – والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً} (سورة مريم: ٣٠ـ٣٣).

وهكذا كانت معجزة الطفل عيسى الذي تكلم وهو رضيع في المهد.

وعندما كبر بدأ بدعوة بني إسرائيل إلى الله وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، موضحاً لهم ما هم فيه من فساد وضلال، وأحل لهم بعض ما حُرّم عليهم، وأكد لهم أنه رسول الله إليهم.

وقد أيده الله سبحانه وتعالى بمعجزات خارقة لا يستطيع علمهم أن يدركها. ويعود سبب تلقيب سيدنا عيسى بالمسيح، ابن مريم، إلى أنه كان يمسح على الأكمه والأبرص فيعافيهما الله من مرضهم، بالإضافة إلى العديد من المعجزات الأخرى حتى رفعه الله تعالى إليه.

المطلب الرابع: تبشير عيسى - عليه السلام - بمحمد - ﷺ-

بشر عيسى ـ عليه السلام ـ بمحمد صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الصف: ٦).

وليس بين عيسى ـ عليه السلام ـ وبين نبينا صلى الله عليه وسلم نبي بعث بشريعة مستقلة كما جاء في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»(١)

وقد جدَّ النصارى، ومن قبلهم اليهود في حذف هذه البشارات من كتبهم أو صرفها عن وجهها، ويزعمون أنه لا يوجد في كتبهم إشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن وجد شيء صرفه النصارى إلى عيسى بن مريم وصرفه اليهود إلى المسيح الذي ينتظرونه، وهي في الواقع لا تنطبق إلا على نبي هذه الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وقد بقي من هذه البشارات الشيء الكثير مع تحريفهم لكتبهم، وقد ذكر منها الشيخ "رحمة الله الهندي" في كتابه "إظهار الحق" ثماني عشرة بشارة، منها إحدى عشرة بشارة في العهد القديم، وسبع بشارات في

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: ١٦] " (١٦٧/٤)، حديث رقم: ٣٤٤٢.

العهد الجديد [١]

والحق أقول: إن جميع الأنبياء، بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: "أنا دعوة أبي إبراهيم"(٢)، أي وفق ما جاء في قوله: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ} (سورة البقرة: ١٢٩)، وهو محمد ـ عليه الصلاة والسلام ..

وهكذا، فإن جميع الأنبياء، قد بُشروا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكن عيسى هو الذي خصص بالذكر، لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل وهو ناقل تلك البشرى لقومه عمن قبله. وهذا يوضح أهمية عيسى في نقل رسالة البشرى بالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وعليه فإن عيسى ـ عليه السلام ـ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، بينما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء على الإطلاق.

وقوله: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} جاء في الصحيح قول النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر أسمائه: (أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، وأنا العاقب) [٣].

وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم باسمه أحمد، وذكر باسمه محمد في أكثر من موضع من القرآن الكريم كما في سورة محمد صلى الله عليه وسلم، وسورة آل عمران، وذكر بصفات عديدة كقول الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف: (ص٣٨٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤٥٣/٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: المناقب، باب: مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١٨٥/٤)، حديث رقم: ٣٥٣٢.

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:١٢٨].

قال الإمام الماوردي: (وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء، بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما هو حجة على أممهم، ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم، بما أطلعه الله– تعالى– على غيبه، ليكون عونا للرسل، وحثا على القبول، فمنهم من عينه باسمه، ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه إلى قومه، ومنهم من أضافه إلى بلده، ومنهم من خصه بأفعاله، ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره، وقد حقق الله– تعالى– هذه الصفات جميعها فيه، حتى صار جليا بعد الاحتمال، ويقينا بعد الارتياب) [١].

وجاء في "محاسن التأويل" : (إن نبينا– عليه الصلاة والسلام– قد بشر به الأنبياء السابقون، وشهدوا بصدق نبوته، ووصفوه وصفا رفع كل احتمال، حيث صرحوا باسمه وبلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته، ومع أن أهل الكتاب حذفوا اسمه من نسخهم الأخيرة إلا أن ذلك لم يجدهم نفعا، لبقاء الصفات التي اتفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة وهي أظهر دلالة من الاسم على المسمى، إذ قد يشترك اثنان في اسم، ويمتنع اشتراك اثنين في جميع الأوصاف. لكن من أمد غير بعيد قد شرعوا في تحريف بعض الصفات ليبعد صدقها على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فترى كل نسخة متأخرة تختلف عما قبلها في بعض المواضع اختلافا لا يخفى على اللبيب أمره، ولا ما قصد به. ولم يفدهم ذلك غير تقوية الشبهة عليهم. لانتشار النسخ بالطبع وتيسير المقابلة بينها»[٢].

(١) أعلام النبوة: (ص١٧١).

(٢) تفسير القاسمي: (٧/٢٨٧٤).

المبحث الثاني:
أسباب البشارة بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم من الأنبياء،
وفيه مطالب:

المطلب الأول: سبب تبشير إبراهيم بإسحاق ويعقوب عليهم السلام

بشرت زوج إبراهيم في سورة هود بإسحاق ويعقوب، وبشر إبراهيم ـ عليه السلام ـ في سورة الحجر والذاريات، ولا تعارض بين تبشير إبراهيم وسارة ـ عليهما السلام ـ إذ إن الولد لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وزوجه، فالبشرى لهما أو لأحدهما بشرى للجميع.

قال أبو السعود: " وتوجيه البشارة ههنا[1] إليها مع أن الأصلَ في ذلك إبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وقد وُجِّهت إليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشرناه بغلام عَلَيمٍ للإيذان بأن ما بُشّر به يكون منهما ولكونها عقيمةً حريصةً على الولد"[2].

كما أنها قد تمنت الولد حينما ولد لهاجر إسماعيل ـ عليه السلام ـ [3].

أما عن السبب الرئيس لتبشير إبراهيم بإسحاق ويعقوب

فمكافأة لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه، وللتنبيه بأن ذلك جزاؤه على إخلاصه.

لما اعتزل إبراهيم قومه خرج بزوجه سارة قريبته، فهي قد اعتزلت قومها أيضا إرضاء لربها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشاملة لإبراهيم ولزوجه، وهي أن وهب لهما إسحاق وبعده يعقوب ولأن هذه الموهبة لما كانت كفاء لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه كانت موهبة من يعاشر إبراهيم ويؤنسه وهما إسحاق ويعقوب[4].

---

(١) يقصد قوله تعالى: {فبشرناها بإسحاق وَمِن وَرَاء إسحاق يَعْقُوبَ} سورة هود: ٧١

(٢) إرشاد العقل السليم: (٤/٢٢٥).

(٣) روح المعاني: (٨/٣٠٥).

(٤) التحرير والتنوير: (١٦/١٢٤).

وفى هذا ما يسأل عنه.. وهو: لماذا اختصّ إسحق ويعقوب بالذكر هنا، ولم يذكر إسماعيل، مع أنه الابن الأول لإبراهيم، ومع أن يعقوب ليس ابن إبراهيم، وإنما هو ابن ابنه إسحق؟

والجواب على هذا– والله أعلم– أن إسماعيل كان قد ولد لإبراهيم، وأن إبراهيم كان على يأس من الولد من امرأته «سارة» أمّ إسحاق إذ كانت عقيما.

فذكر إسحاق، هنا، هو تذكير بتلك النعمة التي جاءت على غير انتظار، بل جاءت على يأس من أن تقع.. وهى– في صورتها تلك– أشبه بالجزاء المعجّل على هذا البلاء العظيم، الذي كان من إبراهيم في موقفه من أبيه ومن قومه، وهذا ما يشير إليه تقييد هذه الهبة بهذا الظرف، الذي اعتزل فيه إبراهيم قومه، وما يدعون من دون الله. كما يقول سبحانه وتعالى: «فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ»(سورة مريم:٤٩) .

ومن جهة أخرى، فإن ميلاد إسماعيل من أمّه هاجر، كان ميلادا من امرأة لم تحكم عليها ظواهر الأمور بالعقم.. فهو– والأمر كذلك– ميلاد طبيعىّ، يجرى على المألوف من حياة النّاس.

أما ذكر يعقوب، وهو ابن الابن، وليس ابنا مباشرا، فهو إلفات إلى زيادة المنّة، ومضاعفة الإحسان، حيث يرى إبراهيم أن ولده إسحق لا يبتلى مما ابتلى به هو من تأخير الولد عنه إلى سنّ الشيخوخة، وإلى حمل نفسه على مرارة اليأس من الولد..! [١].

إذًا جاءت البشارة بإسحاق ويعقوب دون إسماعيل، لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان قد ولد له من هاجر إسماعيل، أما سارة فأيست من الولد؛ لكبر سنها فقد أدبرت سن الولادة والحمل، فبشرت على كبر السن بولد، أما عن ذكر يعقوب بعد إسحاق وهو ابنه؛ للإشارة إلى أنه سيكون من ذريته النبيون فهو أبو الأنبياء من الأسباط وموسى وداود وسليمان وعيسى ـ عليهم السلام ـ.

(١) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي: (٤٧٧/١١)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٦٩/٩).

المطلب الثاني: سبب تبشير زكريا بيحيي عليهما السلام

ذكرت في المبحث الأول في الفصل الأول أن اسم النبي زكريا ـ عليه السلام ـ ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ووردت أحداث قصته في ثلاث سور قرآنية، هي: سورة آل عمران، وسورة مريم، وسورة الأنبياء. وجاءت هذه القصة مفصلة في سورة مريم أكثر من السورتين الأخريين، وكل سورة من السور الثلاث ورد فيه سبب تبشير زكريا ـ عليه السلام ـ بولده يحيي ـ عليه السلام ـ ، فإذا نظرنا في سورة ال عمران نجد أن سبب تبشير زكريا بيحيي ـ عليهما السلام ـ أنه ـ عليه السلام ـ لما رأى ما أوتي مريم من فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف مجرى العادة، طمع في رزق الولد من العاقر، على خلاف مجرى العادة، فدعا الله عز وجل

قال تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ } (سورة آل عمران: ٣٧ـ٣٩)

أي: دخل عليها زكريا المحراب فقالَ لها {يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا } يعني: من أين لك هذا؟ فإنه لا يدخل عليك أحد غيري فَقالَتْ مريم {هُو} أي هذا الرزق مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أي من فضل الله {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ } في غير حينه. ويقال: من حيث لا يحتسب {هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ } يقول عند ذلك طمع في الولد، وكان آيساً من ذلك، وكان مفاتيح بيت القربان عند آبائه، وقد صار ذلك بيده، وكان يخشى أن يخرج من أهل بيته إذا مات. فقال عند ذلك: إن الله قادر على أن يأتيها برزق الشتاء في الصيف، وبرزق الصيف في الشتاء، فهو قادر أن

يرزق لي الولد بعد الكبر فذلك قوله تعالى: {هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ } أي من عندك {ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً } أي من عندك تقية مهذبة. ويقال: مستوي الخلق. ويقال: مسلمة مطيعة. ويقال: تقية {إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ } أي مجيب له [١].

ونلحظ من خلال هذه الآيات أن نبي الله زكريا دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة، فلم يذكر الله سبحانه عنه في هذه الآية سوى أنه يطلب ذرية طيبة، ولم يبين سبحانه شكل الدعاء أكان جهرا أم كان خفيا .

أما في سورة مريم فكان السبب الذى حمل زكريا على دعاء ربه خوفه الموالي من ورائه، وفى هذه السورة بين حاله، وبين نوع ما يطلب من الذرية، كما أن زكريا ـ عليه السلام ـ مهد للمقصود من الدعاء في قوله: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا } (سورة مريم:٤) وقوله: {فهب لي من لدنك وليا } (سورة مريم:٥). وإنما كان ذلك تمهيدا لما يتضمنه من اضطراره لسؤال الولد، والله يجيب المضطر إذا دعاه، فليس سؤاله الولد سؤال توسع لمجرد تمتع أو فخر.

ووصف من حاله ما تشتد معه الحاجة إلى الولد حالا ومآلا، فكان وهن العظم وعموم الشيب حالا مقتضيا للاستعانة بالولد مع ما يقتضيه من اقتراب الموت عادة، فذلك مقصود لنفسه ووسيلة لغيره وهو الميراث بعد الموت[٢]

فقال سبحانه: {كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا } وفى هذا النص الكريم يتبين أنه مع رجائه كان يذكر شيخوخته الفانية، وكون امرأته عاقرا لَا تلد،

(١) بحر العلوم، السمرقندي: (٢١٠/١).

(٢) التحرير والتنوير: (٦٣/١٦).

فدعا ذلك الدعاء، اختلف المفسرون في معنى خوفه فقال بعضهم: (خاف أن يرثه غير الولد). وقيل: (خاف أن تذهب النبوة من نسبه إلى بني الأعمام).

ورد الواحدي هذا القول فقال: " وهذا ليس بشيء؛ لأنه لا يكون خوفا من الموالي، والصحيح في معنى خوفه ما ذكره أبو علي فقال: (الخوف لا يكون من الأعيان في الحقيقة، إنما يكون من معان فيها، فإذا قال القائل: خفت الله، وخفت الوالي، وخفت الناس، فالمعنى: خفت عقاب الله ومؤاخذته، وخفت عقوبة الوالي، وملامة الناس، وكذلك أي: "خفت الموالي من ورائي"، أي خفت تضيج بني عمي، فحذف المضاف، والمعنى تضييعهم للدين، ونبذهم إياه وإطراحهم له، فسأل ربه وليا يرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين، وكأن الذي حمله على مسألة ذلك ما شاهدهم عليه من تبديلهم للدين وتوثبهم على الأنبياء وقتلهم إياهم). ويؤكد هذا ما روى عطاء عن ابن عباس قال: (يريد بالموالي بني إسرائيل). وبنو إسرائيل كانوا يبدلون ويقتلون الأنبياء، وعلى هذا سُمّي بني إسرائيل موالي؛ لأنهم كانوا بني أعمامه"[(١)].

وقال القرطبي: "و" الموالي" هنا الأقارب بنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب. والعرب تسمي بني العم الموالي. قال الشاعر:

مهلا بني عمنا مهلا موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا[(٢)]

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: خاف أن يرثوا ماله وأن ترثه الكلالة فأشفق أن يرثه غير الولد. وقالت طائفة: إنما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته أن يضيع الدين، فطلب وليا يقوم بالدين بعده، حكى هذا القول الزجاج، وعليه فلم يسل من يرث ماله، لأن الأنبياء لا تورث. وهذا هو الصحيح من القولين في

(١) التفسير البسيط: (١٩٣/١٤).

(٢) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب وهو من شعراء بني هاشم في عهد بني أمية عندما كان يُخَاطب بني أُميَّة. ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٢٥)، والكامل: (٢/ ٢٧٩).

تأويل الآية، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال"[١].

قال الإمام البقاعي: "وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير في برهانه : لما قال تعالى: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا } (سورة الكهف:٩) (ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر ـ عليهما السلام ـ وقصة ذي القرنين ، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هو أشد عجبا وأخفى سببا ، فافتتح سورة مريم بيحيى بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهما ومتعجبا {أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا } [مريم : ٨] فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين ، وأنه يجعل ذلك آية للناس ، وأمر هذا أعجب من القصص المتقدمة ، فكأن قد قيل : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، نحن نخبرك بخبرهم ونخبرك بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية ، وهو قصة زكريا في ابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام ، وقصة عيسى في كيونته بغير أب ، ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسبباتها إلا بحسب سنة الله ، وإنما الفعل له سبحانه لا بسبب ، وإلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا ـ عليه السلام ـ {وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا } (سورة مريم:٩) ثم أتبع سبحانه بشارة زكريا بيحيى بإتيانه الحكم صبيا ، ثم بذكر مريم وابنها ـ عليهما الصلاة والسلام ـ[٢]،

أما سورة الأنبياء فلم تبسط القصة كما في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران.

(١) تفسير القرطبي: (٧٨/١١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (١٦٦/١٢).

المطلب الثالث: سبب تبشير مريم بعيسى عليه السلام

بشرت مريم بعيسى عليه السلام لعدة أسباب:

السبب الأول: لاصطفائها وتطهيرها على نساء العالمين قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ } (سورة آل عمران:٤٢)

قال ابْن عَبَّاس لما وهب الله لزكريا يحيى وَبلغ ثَلَاث سِنِين بشر الله مَرْيَم بِعِيسَى فَبَيْنَمَا هِيَ فِي الْمِحْرَاب إِذْ قَالَت الْمَلَائِكَة – وَهُوَ جِبْرِيل وَحده – {يَا مَرْيَم إِن الله اصطفاك وطهرك} من الْفَاحِشَة {واصطفاك} يَعْنِي اختارك {على نسَاء الْعَالمين} عَالم أمتها {يَا مَرْيَم اقنتي لِرَبِّك} يَعْنِي صلي لِرَبِّك يَقُول: اركدي لِرَبِّك فِي الصَّلَاة بطول الْقيام فَكَانَت تقوم حَتَّى ورمت قدماها {واسجدي واركعي مَعَ الراكعين} يَعْنِي مَعَ الْمُصَلِّين مَعَ قراء بَيت المقدس(١).

وذكر في الاصطفاء ما يدل على أنها به مختارة دون نساء العالمين؛ لأن الاصطفاء الأول ومعه الطهر والتقى لَا تختص به مريم، فكم من عابدات قانتات قوامات بالليل صوامات بالنهار؛ أما الاصطفاء الثاني وهو أن تلد من غير أب فإن ذلك قد اختصت به لم تشركها فيه امرأة في هذا الوجود، ولذا قال فيه: {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ }.

وإن هذا التعبير يدل فوق دلالته على اختصاصها بهذا الاصطفاء، يدل على أن لها فضلا على نساء العالمين، إذ إن التعبير {عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ } يتضمن معنى الأفضلية عليهن، وإن لها ذلك الفضل، ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن

(١) الدر المنثور، السيوطي: (١٩٦/٢).

فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "[١] وروي من طرق صحيحة: " خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد "[٢].

وأما التطهير فقيل: إنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية، فهو كقوله تعالى في أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: {ويطهركم تطهيرا } [سورة الأحزاب: ٣٣] وقيل: إنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال وقيل: طهرها عن الحيض، قالوا: كانت مريم لا تحيض وقيل: وطهرك من الأفعال الذميمة، والعادات القبيحة وقيل: وطهرك عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم[٣].

السبب الثاني: أن تكون وابنها آية للعالمين كما قال تعالى: {قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } (سورة مريم:٢١) وقوله { وَجَعَلْنَاهَا وابنهآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ }(سورة الانبياء:٩١)

والمراد بالآية في قوله – سبحانه – : { وَجَعَلْنَاهَا وابنهآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ } : الأمر الخارق للعادة ، الذى لم يسبقه ولم يأت بعده ما يشابهه .

أي : وجعلنا مريم وابنها عيسى آية بينة ، ومعجزة واضحة دالة على كمال قدرتنا للناس جميعا ، إذ جاءت مريم بعيسى دون أن يمسها بشر ، ودون أن تكون بغيا[٤] ؛ حيث خلقه وأبدعه سبحانه وتعالى بكلمة منه؛ فإذا كان سبحانه قد خلق الأحياء بطريق التناسل: الرجل يلاقح الأنثى، ويخرج الأولاد من أصلاب الآباء، فإن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يخلق ذلك الخلق، بل خلقه الله تعالى خلقًا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ـ، (١٨٨٦/٤)، حديث رقم: ٢٤٣١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (١٨٦/٦) عن أنس رضي الله عنه، ورواه الترمذي: المناقب – مناقب خديجة رضي الله عنها (٣٨١٣) وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

(٣) مفاتيح الغيب: (٢١٨/٨).

(٤) التفسير الوسيط: (٢٩٢٩/١).

آخر؛ خلقه بكلمة منه وهي " كن " فكان، فصار جديرًا بأن يعتبر كلمة، وأن تكون هذه الكلمة منسوبة إلى الله تعالى.

ويقول ابن جرير: "إن الكلمة هي كلمة البشرى، تشريفا لمريم البتول، وتكريما لها بأن تكون البشرى بكلمة من الله، أي بخطاب من الله تعالى مرسل منه إليها. ويزكي هذا قوله تعالى: {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ منهُ }، وقوله تعالى: {اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } هو ما تضمنته البشارة، ويكون التأويل: يبشرك ببشارة جازمة قاطعة لَا احتمال لتخلفها، هذه البشارة هي ولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم. وكأن " اسمه المسيح " تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: البشارة ولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم"(١).

السبب الثالث: بيان ما يمنحه الله تعالى من التثبيت في الحق والإلهام لمن دون الأنبياء من خيار خلقه الذين سلمت فطرتهم، وصفت سريرتهم، وزكت بالعمل الصالح أنفسهم، حتى غلبت فيها الصفات الملكية على النزعات الحيوانية والنزعات الشيطانية، فالأرواح البشرية العالية قد تقوي المناسبة بينهما وبين الملائكة فتستفيد من أرواح الملائكة قوة في الخير والحق وثباتا على الصلاح والإصلاح {إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا } (سورة الانفال: ١٢) وقد تستفيد منها علما بالحق وبشارة بالخير، وهو ما يسمى التحديث والإلهام(٢).

السبب الرابع: لكي تتم القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، وبيان ذلك: أن الله تعالى خلق آدم ـ عليه السلام ـ من غير ذكر ولا أنثى. وخلق حواء من ذكر بلا أنثى. وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر

(١) زهرة التفاسير: (١٢٢١/٣).
(٢) تفسير المنار: (٢٦٦/٧).

المطلب الرابع: سبب تبشير عيسى بمحمد ﷺ لبني إسرائيل

يوجد أسباب كثيرة ومتعددة في تبشير عيسى بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبني إسرائيل من هذه الأسباب:

١ـ أن بني إسرائيل كانوا ينتظرون مجيء رسول من الله يخلصهم مما هم فيه من المتسلطين عليهم.

٢ـ أن هذا الانتظار كان ديدنهم.

٣ـ أن هذا الرسول ورد ذكره على لسان أنبيائهم بعد موسى. فكان وعد عيسى به كوعد من سبقه من أنبيائهم، وفاتحهم به في أول الدعوة اعتناء بهذه الوصية، وفي الابتداء بها تنبيه على أن ليس عيسى هو المخلص المنتظر وأن المنتظر رسول يأتي من بعده وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

٤ـ إرادة الله تعالى أن يقيم للأمم التي يظهر فيها علامات ودلائل ليتبينوا بها شخصه فيكون انطباقها فاتحة لإقبالهم على تلقي دعوته.

قال الطاهر ابن عاشور: " وإنما أخبرهم بمجيء رسول من بعده لأن بني إسرائيل لم يزالوا ينتظرون مجيء رسول من الله يخلصهم من براثن المتسلطين عليهم وهذا الانتظار ديدنهم، وهم موعودون لهذا المخلص لهم على لسان أنبيائهم بعد موسى. فكان وعد عيسى به كوعد من سبقه من أنبيائهم، وفاتحهم به في أول الدعوة اعتناء بهذه الوصية.

وفي الابتداء بها تنبيه على أن ليس عيسى هو المخلص المنتظر وأن المنتظر رسول يأتي من بعده وهو محمد صلى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولعظم شأن هذا الرسول الموعود به أراد الله أن يقيم للأمم التي يظهر فيها علامات ودلائل ليتبينوا بها شخصه فيكون انطباقها فاتحة لإقبالهم على تلقي دعوته، وإنما يعرفها حق معرفتها الراسخون في الدين من أهل الكتاب لأنهم الذين يرجع إليهم الدهماء من أهل ملتهم قال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون } [سورة البقرة: ١٤٦]"[(١)] .

(١) التحرير والتنوير: (١٨١/٢٨).

المبحث الثالث:

أثر البشارة بالولادة على المبَشَّر، وفيه مطالب:

المطلب الأول: أثر البشارة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام على إبراهيم عليه السلام.

عندما بشر إبراهيم بإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ تنوع الجواب عند البشرى فتارة يأتي من ابراهيم ـ عليه السلام ـ وتارة من زوجه وذكرنا سابقا توجيه البشارة إليها في هود، مع ورود البشارة إلى إبراهيم في آية أخرى، كآية {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } [الصافات: ١٠١] ،و {وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } [الذاريات: ٢٨] ، إيذان بمشاركتها لإبراهيم في ذلك حين ورودها، وإشارة إلى أن ذكر أحدهما فيه اكتفاء عن الآخر، والمقام أمس بذكره وأبلغ. أو للتوصل إلى سوق نبئها في ذلك، وخرق العادة فيه

والرد في جميع المواضع بمعنى واحد وهو: التعجب، لا الشك والإنكار، ففي سورة هود كان رد زوج ابراهيم ـ عليه السلام ـ

{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } (سورة هود:٧٢)

إي: أألد وأنا عجوز أي امرأة مسنة وهذا بعلي أي زوجي إبراهيم شيخا إن هذا أي التولد من هرمين لشيء عجيب أي غريب، لم تجر به العادة.

وقد يسأل هنا سائل، كيف تعجبت زوج إبراهيم من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر؟

ويجاب على ذلك: بأنها تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فإن الرجل المسلم لو أخبره مخبر صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ذهبا إبريزا فلا شك أنه يتعجب نظرا إلى أحوال العادة لا لأجل أنه استنكر قدرة الله تعالى على

ذلك[١].

فالاستفهام للعجب، والعجب كان يقوم على أمرين:

الأمر الأول: أنها عجوز قد أدبرت سن الولادة والحمل.

الأمر الثاني: أن زوجها شيخ هرم، وصرخت بالعجب فقالت: إن هذا لشيء عجيب. وقوله تعالى: {يَا وَيْلَتَى} هي للتعجب وتستعمل الكلمة غالبا في العجب من أمر متعجب شاق، وشاع استعماله في العجب، وعندي هنا أنه للأمر الشاق؛ لأن البشرى تحمل في نفسها آلام الحمل والوضع(٢).

ثانيا: أنها ردت بهذا القول لأن من شأن من بشر بما يتمناه أن يتولد له فرط السرور به عند أول ما يرد علي استثبات ذلك الكلام إما لأن شدة فرحه به توجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر ولهذا أزيل تعجبها بقوله: {أتعجبين من أمر الله } [سورة هود: ٧٣][٣]

وكان رد ابراهيم ـ عليه السلام ـ في سورة الحجر: {قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون } (سورة الحجر:٥٤) يعنى {أَبَشَّرْتُمُونِي } مع مس الكبر، بأن يولد لي. أي: أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر {فَبِمَ تُبَشِّرُونَ } هي ما الاستفهامية، دخلها معنى التعجب، كأنه قال: فبأي أعجوبة تبشروني. أو أراد: أنكم تبشرونني بما هو غير متصوّر في العادة، فبأي شيء تبشرون، يعنى: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء، لأنّ البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء. ويجوز أن لا يكون صلة لبشر، ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعنى: بأي طريقة تبشرونني بالولد، والبشارة به لا طريقة لها في العادة. وقوله: {بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ } يحتمل أن تكون الباء فيه صلة، أي: بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشرناك

(١) مفاتيح الغيب: (٣٧٥/١٨).

(٢) زهرة التفاسير: (٣٧٣١/٧).

(٣) مفاتيح الغيب: (٥١٤/٢١).

بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده، وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر[١].

المطلب الثاني: أثر الشارة بيحيى عليه السلام على نبي الله زكريا عليه السلام.

كان رد زكريا عندما بشر بيحيي ـ عليهما السلام ـ كما ذكر الله تعالى في سورة ال عمران {قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء * قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار} (سورة آل عمران: ٤٠ـ ٤١)

وفي هذا الرد تساءل المفسرون تساؤلات منها: كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة إياه به؟ وما معنى هذه المراجعة؟ ولم عجب من ذلك بعد إخبار الله تعالى بأنه يكون[٢]، أو لم كان زكريا ـ عليه السلام ـ هو الذي سأل الولد، ثم أجابه الله تعالى إليه فلم تعجب منه ولم استبعده؟[٣]

تعددت آراء المفسرين في توجيه جواب زكريا ـ عليه السلام ـ وأجابوا عن ذلك بأكثر من جواب:

الجواب الأول: أن معنى قوله {أنى يكون} على أي حال يكون ذلك؛ أيردني إلى حال الشباب، وامرأتي؟ أم من حال الكبر؟. فقال ما قال من هذا مستثبتا، ومستعلما، لا متعجبا، ولا منكرا[٤].

{أَنَّى} هنا بمعنى " كيف "، فهو يعجب من الحال، ولا يصح أن تكون بمعنى " من أين؟ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه سيعطيه الولد، فلا يليق أن يسأل من أين، إنما العجب من حال العطاء مع حاله هو وامرأته؛ ولذا كانت الجملة من بعد

(١) الكشاف: (٥٨١/٢).
(٢) التفسير البسيط: (٢٣٣/٥).
(٣) مفاتيح الغيب: (٢١٣/٨).
(٤) التفسير البسيط: (٢٣٣/٥).

ذلك جملة حالية صُدِّرت بواو الحال، فقال: {وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ} كان وجه العجب من ناحيتين: الناحية الأولى: أنه شيخ فانٍ قد أصابه الكبر بما فيه من ضعف، والثانية أن امرأته عاقر لَا تلد(١).

الجواب الثاني: أنه سأل هل يرزق هذا الولد من امرأته العاقر أو من غيرها؟(٢).

الجواب الثالث: أن معناه بأي سبب أستوجب هذا وأنا وامرأتي على هذه الحال.

والحاصل أنه استبعد حدوث الولد منهما مع كون العادة قاضية بأنه لا يحدث من مثلهما لأنه كان يوم التبشير كبيرا قيل في تسعين سنة، وقيل في عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته في ثمان وتسعين سنة، ولذلك جعل الكبر كالطلب له لكونه طليعة من طلائع الموت، فأسند الفعل إليه، والعاقر التي لا تلد أي ذات عقر على النسب، ولو كان على الفعل لقال عقيرة أي بها عقر يمنعها من الولد. وإنما وقع منه هذا الاستفهام بعد دعائه بأن يهب الله له ذرية طيبة ومشاهدته لتلك الآية الكبرى في مريم، استعظاما لقدرة الله سبحانه، لا لمحض الاستبعاد(٣).

قال الطاهر ابن عاشور: "و {أنى} فيه بمعنى كيف، أو بمعنى المكان، لتعذر عمل المكانين اللذين هما سبب التناسل وهما الكبر والعقرة. وهذا التعجب يستلزم الشكر على هذه المنة فهو كناية عن الشكر. وفيه تعريض بأن يكون الولد من زوجه العاقر دون أن يؤمر بتزوج امرأة أخرى وهذه كرامة لامرأة زكرياء"(٤).

الجواب الثالث: قيل إنه قد مر بعد دعائه إلى وقت بشارتها أربعون سنة، وقيل عشرون سنة فكان الاستبعاد من هذه الحيثية(٥).

---

(١) زهرة التفاسير: (١٢٠٧/٣).

(٢) فتح البيان: (٢٣٠/٢).

(٣) فتح البيان: (٢٣٠/٢).

(٤) التحرير والتنوير: (٢٤٣/٣).

(٥) فتح البيان: (٢٣٠/٢).

الجواب الرابع: قال الفخر الرازي: "لم يكن هذا الكلام لأجل أنه كان شاكا في قدرة الله تعالى على ذلك والدليل عليه وجهان الأول: أن كل أحد يعلم أن خلق الولد من النطفة إنما كان على سبيل العادة لأنه لو كان لا نطفة إلا من خلق، ولا خلق إلا من نطفة، لزم التسلسل ولزم حدوث الحوادث في الأزل وهو محال، فعلمنا أنه لا بد من الانتهاء إلى مخلوق خلقه الله تعالى لا من نطفة أو من نطفة خلقها الله تعالى لا من إنسان.

والوجه الثاني: أن زكريا ـ عليه السلام ـ طلب ذلك من الله تعالى، فلو كان ذلك محالا ممتنعا لما طلبه من الله تعالى، فثبت بهذين الوجهين أن قوله أنى يكون لي غلام ليس للاستبعاد، بل ذكر العلماء فيه وجوها الأول: أنه قوله أنى معناه: من أين. ويحتمل أن يكون معناه: كيف تعطي ولدا على القسم الأول أم على القسم الثاني، وذلك لأن حدوث الولد يحتمل وجهين أحدهما: أن يعيد الله شبابه ثم يعطيه الولد مع شيخوخته، فقوله أنى يكون لي غلام معناه: كيف تعطي الولد على القسم الأول أم على القسم الثاني؟ فقيل له كذلك، أي على هذا الحال والله يفعل ما يشاء، وهذا القول ذكره الحسن والأصم والثاني: أن من كان آيسا من الشيء مستبعدا لحصوله ووقوعه إذا اتفق أن حصل له ذلك المقصود فربما صار كالمدهوش من شدة الفرح فيقول: كيف حصل هذا، ومن أين وقع هذا كمن يرى إنسانا وهبه أموالا عظيمة، يقول كيف وهبت هذه الأموال، ومن أين سمحت نفسك بهبتها؟ فكذا هاهنا لما كان زكريا ـ عليه السلام ـ مستبعدا لذلك، ثم اتفق إجابة الله تعالى إليه، صار من عظم فرحه وسروره قال ذلك الكلام الثالث: أن الملائكة لما بشروه بيحيى لم يعلم أنه يرزق الولد من جهة أنثى أو من صلبه، فذكر هذا الكلام لذلك الاحتمال الرابع: أن العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء فطلبه من السيد، ثم إن السيد يعده بأنه سيعطيه بعد ذلك، فالتذ السائل بسماع ذلك الكلام، فربما أعاد السؤال ليعيد ذلك الجواب فحينئذ يلتذ بسماع تلك الإجابة مرة أخرى،

فالسبب في إعادة زكريا هذا الكلام يحتمل أن يكون من هذا الباب الخامس: نقل سفيان بن عيينة أنه قال: كان دعاؤه قبل البشارة بستين سنة حتى كان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة زمان الشيخوخة لا جرم استبعد ذلك على مجرى العادة لا شكا في قدرة الله تعالى فقال ما قال السادس: نقل عن السدي أن زكريا ـ عليه السلام ـ جاءه الشيطان عند سماع البشارة فقال إن هذا الصوت من الشيطان، وقد سخر منك فاشتبه الأمر على زكريا ـ عليه السلام ـ فقال: {رب أنى يكون لي غلام} وكان مقصوده من هذا الكلام أن يريه الله ـ تعالى ـ آية تدل على أن ذلك الكلام من الوحي والملائكة لا من إلقاء الشيطان قال القاضي: لا يجوز أن يشتبه كلام الملائكة بكلام الشيطان عند الوحي على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كل الشرائع ويمكن أن يقال: لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين لا جرم حصل الوثوق هناك بأن الوحي من الله تعالى بواسطة الملائكة ولا مدخل للشيطان فيه، أما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فربما لم يتأكد ذلك المعجز فلا جرم بقي احتمال كون ذلك من الشيطان فلا جرم رجع إلى الله تعالى في أن يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال"(١).

الجواب الخامس: الاستفهام ليس للاستنكار؛ فكيف يستنكر نبي قدرة اللَّه تعالى على الأشياء من غير وسائط وأسباب، وهو خالق الوسائط والأسباب، وإنما كان هذا السؤال للتنبيه إلى موضع الغرابة، وليؤمن من لم يكن آمن بقدرة اللَّه تعالى، وأنه لا يحتاج في خلقه إلى وسائط وليسمع الناس بيان اللَّه تعالى أنه هين عليه، وأنه ليس بغريب من اللَّه تعالى، فقد خلق الإنسان ولم يك شيئا، وأن اللَّه تعالى غني عن الوسائط والأسباب، وشكرا لنعمة اللَّه في إجابة الدعاء فقد أجاب سبحانه

(١) مفاتيح الغيب: (٨/٢١٤).

مع ظهور ما يبعد الإجابة، ولكن ليس على اللَّه ببعيد[١].

ومن ثَمَّ فإن نبي الله تعالى زكريا ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ لم يستنكر قدرة الله تعالى على كل شيئ، وخلاصة ما يقال: إن نبي الله زكريا ـ عليه السلام ـ أراد أن يظهر قدرة الله تعالى، وإلا فكيف يطلب من ربه: { رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء} (سورة آل عمران: ٣٨) ويستنكر تحقيق طلبه.

المطلب الثالث: **موقف مريم عليها السلام من البشارة بعيسى عليه السلام**.

ذكر القرآن الكريم موقف مريم ـ عليها السلام ـ من البشارة بعيسى ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: {قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ} (آل عمران: ٤٧).

وذكر المفسرون ـ في علة قولها هذا قولين:

القول الأول: أنها قالت هذا تعجباً واستفهاماً، لا شكاً وإنكاراً، وعلى هذا الجمهور[٢].

والقول الثاني: أن الذي خاطبها كان جبريل، وكانت تظنه آدميا يريد بهاً سوءاً، ولهذا قالت: { أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ} فلما بشّرها لم تتيقن صحة قوله، لأنها لم تعلم أنه ملك، فلذلك قالت: {أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ}،

قال أهل المعاني: إن مريم لا تستنكر في قدرة الله تعالى خلق الولد من غير مسيس بشر، وإنما قالت هذا؛ لأن في البشرية التعجب مما خرج عن العادة، كما يقول الإنسان: (كيف تهب ضيعتك، وهي أنفس أملاكك.؟!) ليس يشك في هبته، وإنما يتعجب من وجوده([٣]).

---

(١) زهرة التفاسير: (٤٦١٤/٩).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: (٣٢٠/١)، وتفسير ابن عطية: (٤٣٧/١)، وزد المسير: (٢٨٤/١)، ومفاتيح الغيب: (٢٢٦/٨).

(٣) التفسير البسيط: (٢٦٤/٥).

فلما سمعت مريم البشارة من جبريل ـ عليه السلام ـ بأنها ستنجب عيسى، فوجئت ودُهشت واستغربت إنها فتاة عذراء، ولم تتزوج، فمن أين يأتيها ذلك الولد؟ ولقد صارحت جبريل باستغرابها {قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر}؟ تركت جبريل وتوجهت إلى الله وناجته ونادته: {رب} أي: يا رب يا الله. {أَنَّى}: اسم استفهام بمعنى {كيف} ويدل على المفاجأة والدهشة. {يكون}: فعل مضارع تام، و{ولد} فاعل للفعل {يكون} التام. {ولم يمسسني بشر}: الجملة في محل نصب حال: أي: وحالي أني لم يطأني بشر ولست ذات زوج ولا عزمت أن أتزوج.

كما أن هذه الجملة السامية تدل على بالغ عجبها، وتومئ إلى ارتياعها الذي عبرت عنه كما في سورة مريم: {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} (سورة مريم:٢٣).

صدرت إجابتها بالنداء للرب، وفيه معنى الاعتراف بالخلق والتكوين، وكمال الربوبية لله سبحانه وتعالى، فهو تسليم بالقدرة الإلهية، وبأن خالق كل شيء لا يكبر عليه شيء، سبحانه وتعالى. و {أَنَّى} في قوله تعالى: {أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ} هي بمعنى كيف، أي كيف يكون مني ولد ولم يمسسني بشر أي لم يكن مني ما يكون بين الرجل والمرأة مما يكون منه ولد. فالاستغراب في الكيفية، لَا في أصل القدرة الإلهية. وكلمة {وَلَمْ يَمْسَسْنِي} إما أن نعتبرها كناية عن اختلاط الرجل بالمرأة، وهذا ظاهر، وتعبير القرآن عن اتصال الرجل بالمسيس مجاز مشهور معروف، حتى يكاد يكون حقيقة عرفية في لغة القرآن الكريم؛ أو نقول: المس المراد به حقيقته، وهو أنها لم يلمسها رجل؛ لأنها متبتلة دائما منصرفة للعبادة لم يلمس جسمها رجل من غير محارمها قط؛ وبذلك ينتفي بالأولى ما هو أبلغ من مجرد اللمس، فموضع العجب والسؤال هو أن يكون ولد من غير اتصال رجل بامرأة. ولقد أزال عجبها رب البرية بقوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} أي كهذا الخلق الذي تجدينه في أن يكون لك ولد من غير أن يمسك رجل وهو

إبداع، يخلق الله تعالى ويبدع ما يشاء ويريد إبداعه، وكلمة يخلق غير ينشئ؛ لأن الخلق إنشاء على غير مثال سبق، فالتعبير بـ " يخلق " يفيد الإبداع، وأنه منهاج في التكوين يخالف منهاج غيره في التكوين. وهذه الجملة السامية تفيد أمورا ثلاثة:

أولها: أن هذا النوع من التكوين، وهو إنجاب من غير أب هو في قدرة الله تعالى؛ لأنه الخالق المبدع، وما هو غريب عليكم هو في قدرته سبحانه؛ لأن من خلق الخلق الأول وخلق السنن الكونية وغيرها قادر على تغييرها؛ لأنه مبدعها ومنشؤها.

ثانيها: أن خلق عيسى أمر من أمر الله تعالى، وعيسى ليس إلا مخلوقا من مخلوقاته، فهو أبدعه كما أبدع غيره من المخلوقات، فليس إلها ولا ابن إله.

ثالثها: أن خلق الله تعالى بمشيئته وإرادته، وهذا فيه إشارة إلى السبب الذي من أجله خلقه الله تعالى من غير أب وهو أن المخلوقات لَا تصدر عن الله صدور المعلول عن علته، ولكنها توجد بإيجاده وتنشأ بإبداعه: {بديع السماوات والأرض أَنَى يكون له ولد} وفي ذلك رد عملي على أهل الفلسفة المادية التي تقول إن العالم نشأ عن العقل الأول نشوء المعلول عن علته.

ثم أشار سبحانه إلى عظيم قدرته بقوله تعالى: {إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} أي أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يوجد أمرا لَا يوجده إلا بكلمة " كن " وعبر سبحانه عن الإيجاد بـ { قضى} للإشارة إلى أن إيجاده للأشياء ليس إلا من قبيل الحكم عليها بالوجود، فإذا حكم بالوجود في أمر نفذ حكمه، وحكمه هو أن يقول كن، فيترتب على ذلك أن يكون.

وهل الأشياء حقيقة تنشأ بمجرد الإرادة الإلهية، أم أن هذا تصوير لسهولة الخلق؛ الظاهر أن هذا بيان لسهولة ذلك على خالق الخلق، وبارئ النسم؛ فهو تمثيل لبيان قدرة الله تعالى الشاملة، وسهولة الإنشاء عليه سبحانه، ونفاذ إرادته في خلقه، ولذلك جاءت الإجابة في مثل هذا المقام بهذا المعنى في سورة مرِيم فقد

قال تعالى في الإجابة عن استغرابها في تلك السورة: (قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا). فهذا التعبير الكريم صريح في أن السياق لبيان سهولة مثل هذا الخلق على خالق الخلق، ويفيد أيضا أن المقصود بيان أن الله سبحانه فعال لما يريد، وهو على كل شيء قدير. ربنا لا ترهقنا من أمرنا عسرا[١].

وفي هذا أبلغ رد على من قالوا إن عيسى ابن الله فإن الآية الكريمة حسمت النزاع في قول الله تعالى: {قال كذلك الله يخلق ما يشاء} فعيسى خلق من مخلوقات الله كما جاء في قوله تعالى {إن مثل عيسى عند الله كمثل دم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} فسبحان من تنزه عما يول الكافرون.

المطلب الرابع: موقف عيسى عليه السلام عندما بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

كان عيسى ـ عليه السلام ـ يؤكد رسالته لقومه بالنبي محمد صلى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسلم فقوله تعالى: {إني رسول الله إليكم} أي أرسلت إليكم بالوصف الذي وصفت به التوراة حال كوني {مصدقا لما بين يدي من التوراة} لأني لم آتكم بشيء يخالف التوراة، بل هي مشتملة على التبشير بي فكيف تنفرون عني وتخالفونني؟ وذكر أشهر الكتب الذي حكم به النبيون، وأشهر الرسل الذي هو خاتم المرسلين، {ومبشرا برسول يأتي من بعدي} وإذا كنت كذلك في التصديق والتبشير فلا مقتضى لتكذيبي[٢].

والمعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين[٣].

(١) زهرة التفاسير: (١٢٢٦/٣).

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن: (١٠١/١٤).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٢٠٩/٥).

قال الآلوسي: "{إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة} أي مرسل منه تعالى إليكم حال كوني مصدقا، فنصب مصدقا على الحال من الضمير المستتر في رسول وهو العامل فيه، وإليكم متعلق به، وهو ظرف لغو لا ضمير فيه ليكون صاحب حال، وذكر هذا الحال لأنه من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إياه ـ عليه السلام ـ ، وقوله تعالى: ومبشرا برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقا، وهو داع أيضا إلى تصديقه ـ عليه السلام ـ من حيث إن البشارة بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم واقعة في التوراة كقوله تعالى في الفصل العشرين من السفر الخامس منها: أقبل الله من سينا وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران معه الربوات الأطهار عن يمينه، وقوله سبحانه في الفصل الحادي عشر من هذا السفر: يا موسى إني سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ما آمره فيه، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه إلى غير ذلك، ويتضمن كلامه ـ عليه السلام ـ أن دينه التصديق بكتب الله تعالى وأنبيائه ـ عليهم السلام ـ جميعا من تقدم ومن تأخر[1]".

قال الطاهر ابن عاشور: "لما أراد الله تعالى إعداد البشر لقبول رسالة هذا الرسول العظيم الموعود به صلى الله عليه وسلم استودعهم أشراطه وعلاماته على لسان كل رسول أرسله إلى الناس. قال تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} [آل عمران: ٨١، ٨٢] أي أأخذتم إصري من أممكم على الإيمان بالرسول الذي يجيء مصدقا للرسل. وقوله: {فاشهدوا} [آل

(١) روح المعاني: (١٤/٢٨٠).

عمران: ٨١] ، أي على أممكم وقال تعالى في خصوص ما لقنه إبراهيم ـ عليه السلام ـ {ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة} [البقرة: ١٢٩] الآية.

وأوصى به عيسى ـ عليه السلام ـ في هذه الآية وصية جامعة لما تقدمها من وصايا الأنبياء وأجملها إجمالا على طريق الرمز. وهو أسلوب من أساليب أهل الحكمة والرسالة في غير بيان الشريعة[١]

(١) التحرير والتنوير: (١٨٢/٢٨).

المبحث الرابع:

سبب تسمية كل من بشر به قبل المولد باسمه.

هذا المبحث يتناول من سماهم الله تعالى بنفسه قبل مولدهم، وهؤلاء ـ على حسب المولد ـ:

١ـ إسحاق ـ عليه السلام ـ.

٢ـ يعقوب ـ عليه السلام ـ.

٣ـ يحيى ـ عليه السلام ـ.

٤ـ عيسى ـ عليه السلام ـ.

٥ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

أولاً: إسحاق عليه السلام

معنى الاسم

إِسْحاقَ اسمه بالعبرانية الضحاك[١]، فيكون معنى إسحاق الضاحك.

أصل الاسم:

وإسحاق: اسم رجل. فإن أردت به الاسم الاعجمي لم تصرفه في المعرفة، لأنه غير عن جهته فوقع في كلام العرب غير معروف المذهب. وإن أردت المصدر من قولك: أسحقه السفر إسحاقا، أي أبعده، صرفته لأنه لم يتغير[٢].

سبب التسمية

سمي بذلك لضحك أمه في قوله تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } (سورة هود:٧١)

قال المفسرون: قال جبريل لسارة: أَبْشِري أيتها الضاحكة بولد اسمه إسحاق، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ، فبشروها أنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد[٣].

---

(١) روح البيان، إسماعيل حقي: (٤/٤٢٩).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (٤/١٤٩٥).

(٣) زاد المسير: (٣/٣٨٧).

ثانيًا: يعقوب ـــــ عليه السلام ـــــــ

معنى الاسم

هو الذي يعقب الآخر أو يخلفه.

قال ابن منظور: "والعقيب كل شيء أعقب شيئا وهما يتعاقبان ويعتقبان أي إذا جاء هذا ذهب هذا وهما يتعاقبان كالليل والنهار... وعقب الليل النهار جاء بعده وعاقبه أي جاء بعقبه فهو معاقب وعقيب أيضا والتعقيب مثله وذهب فلان وعقبه فلان بعد واعتقبه أي خلفه "(١).

أصل الاسم:

ويعقوب اسم إسرائيل أبي يوسف ـ عليهما السلام ـ لا ينصرف في المعرفة للعجمة والتعريف لأنه غير عن جهته فوقع في كلام العرب غير معروف المذهب (٢)

ويعقوبُ عَلَمٌ أعجمي ولذلك لا يَنْصَرِفُ، ومَنْ زَعَم أنَّه سُمِّي يعقوب لأنه وُلِد عَقِبَ العَيْص أخيه وكانا تَوْءَمين أَوْ لأنه كَثُر عَقِبُه ونَسْلُه فقد وَهِمَ؛ لأنه كان ينبغي أن ينصَرِفَ لأنه عربيٌّ مشتق. ويعقوب أيضاً ذَكَرُ الحَجَل، إذا سُمِّي به المذكرُ انصرفَ، والجمعُ يعاقِبَة ويعاقيب(٣).

سبب التسمية

قيل سُمِّيَ يعقوبُ بهذا الاسم لأنه كان يعقب أَوامَر الله تعالى ونَواهيَه من كتابه فيَعْمَل بها.

وقيل : سُمِّيَ يعقوبَ لأَنَّه عاقَبَ شَيْطانَه(٤).

وقيل : وسمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدّم عيص في الخروج من بطن

(١) لسان العرب: (٦١٥/١).

(٢) لسان العرب: (٦٢٣/١).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: (١٢٦/٢).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادى: (٤٣/٦).

أمّه وخرج يعقوب على أثره فأخذ يعقبه[١]. وقال القرطبي في هذا القول: "وفي ذلك نظر، لأن هذا اشتقاق عربي، ويعقوب اسم أعجمي، وإن كان قد وافق العربية في التسمية به كذكر الحجل[٢]"[٣].

وقيل: سمّي يعقوب لكثرة عقبه[٤]

وعقب أبو حيان على هذا القول والذي قبله بالفساد فقال: "ومن زعم أن يعقوب النبي إنما سمي يعقوب لأنه هو وأخوه العيص توأمان، فخرج العيص أولا ثم خرج هو يعقبه، أو سمي بذلك لكثرة عقبه، فقوله فاسد، إذ لو كان كذلك لكان له اشتقاق عربي، فكان يكون مصروفا[٥]

وقيل: لأنه عقب إسحاق. وهذا هو الذي تميل إليه النفس.

ثالثًا: يحيي ـــــ عليه السلام ـــــ

معنى الاسم

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى }أي: بشره الله تعالى على يد الملائكة بـ " يحيى " وسماه الله له " يحيى " وكان اسما موافقا لمسماه: يحيا حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعلم والدين[٦].

أصل الاسم:

قال أبو حيان: "والظاهر أن يحيى ليس عربيا لأنه لم تكن عادتهم أن يسموا

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: (٢٨٠/١).

(٢) الحجل (بالتحريك): طائر على قدر الحمام كالقطا، أحمر المنقار والرجلين، ويسمى دجاج البر. ويسمى الذكر منه يعقوب وجمعه يعاقب ويعاقيب. ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: (١٨١/١)، وتهذيب اللغة، الأزهري: (١٨٣/١).

(٣) تفسير القرطبي: (١٣٦/٢).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: (٢٨٠/١).

(٥) البحر المحيط: (٦٣٤/١).

(٦) تيسير الكريم الرحمن: (٤٩٠/١).

بألفاظ العربية فيكون منعه الصرف للعلمية والعجمة، وإن كان عربيا فيكون مسمى بالفعل كيعمر ويعيش"[١].

سبب التسمية

اختلف العلماء في سبب التسمية إلى أقوال متقاربة فقيل: سمي بذلك لأنه يحيى بالحكمة والعفة.

وقيل: لإحيائه إياه بالإيمان[٢].

وقيل لأنه يستشهد والشهداء أحياء.

وقيل: لأنه يعمر زمنا طويلا.

وقيل: لأنه حيي بين شيخ كبير وأم عاقر.

وقيل: لأنه حيي به عقر أمه وكانت لا تلد[٣].

وقيل: إن يحيى ـ عليه السلام ـ أول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك الإيمان وذلك أن أم يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى: يا مريم أحامل أنت؟ فقالت: لماذا تقولين؟ فقالت: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. وقيل: إن الدين يحيا به لأنه إنما سأله زكريا لأجل الدين[٤] .

وقال الرازي في ذكر هذه الوجوه: "واعلم أن هذه الوجوه ضعيفة لأن أسماء الألقاب لا يطلب فيها وجه الاشتقاق، ولهذا قال أهل التحقيق أسماء الألقاب قائمة مقام الإشارات وهي لا تفيد في المسمى صفة ألبتة"[٥]

(١) البحر المحيط: (٢٤٢/٧).

(٢) تفسير الطبري: (١٤٧/١٨).

(٣) البحر المحيط: (٢٤٢/٧).

(٤) مفاتيح الغيب: (٥١٢/٢١).

(٥) مفاتيح الغيب: (٥١٢/٢١).

رابعًا: عيسى ـــــــ عليه السلام ـــــــ.

معنى الاسم

المسيح: لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق، وعيسى اسم ينبئ عن البياض والصفاء والنقاء(١).

، وقوله تعالى: {اسمه المسيح}. ذكر الكناية ؛ لأنه عنى بـ (الكلمة): عيسى، أو الولد، فرجعت الكناية إلى معنى الكلمة، لا إلى اللفظ.

فإن قيل: كيف أخبر أن اسمه المسيح، وقدمه على اسمه المعروف، وهو: عيسى، وإنما لقب بـ (المسيح) بعد نفاذ التسمية له بـ (عيسى)؟

قيل: إن الأسماء ألقاب علقت على المسميات؛ للفصل بين الأعيان فإذا علق الاسم على المولود في وقت ولادته، ثم شهر بعد علو سنه بلقب، كان اللقب أغلب عليه من الاسم، لأن من يعرفه به أكثر ممن يعرفه باسمه الحقيقي، فلهذه العلة قدم المسيح على عيسى، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر وألزم لهم من أسمائهم(٢).

وقد عرَّف سبحانه وتعالى ذلك المولود بثلاثة تعريفات: لقب، واسم وكنية؛ أما اللقب فهو المسيح، وأما الاسم فعيسى، وأما الكنية فهو ابن مريم، وهذه التعريفات الثلاثة، كل واحد منها يومئ إلى معنى قد تحقق في السيد المسيح ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ؛ فأما الكنية فللإشارة إلى أن نسبه ثابت لأمه لَا لأحد سواها، فليس ابنا لأي حيّ من الأحياء، وليس ابنا لله تعالى كما توهم أو كما لبَّس على نفسه كل من لَا يريد أن يحكِّم عقله فيما لُقِّن من عقائد باطلة، ولا تعلق لهم في أن عيسى قيل عنه كلمة الله، فالكلمة هي البشارة، وهي مخلوقة، أو

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: (١٠٦/٢).

(٢) التفسير البسيط: (٢٥٤/٥).

لأنه خلق بكلمة الله وهي " كن " وكلتاهما لَا يمكن أن تكون ابنا لله تعالى[١].

ولذلك يقول الأصفهاني: " عيسى اسم علم وإذا جعل عربيا أمكن أن يكون من قولهم: بعير أعيس وناقة عيساء، وهي إبل بيضاء يعتري بياضها بعض الظلمة، أي فيها اغبرار يعطي بياضها صفاء وجمالاً، فهو ينبئ عن جمال تكوينه، وجمال دعوته وصفاء رسالته[٢].

أصل الاسم:

قيل: إنه غير مشتق، لأن العرب عربته وغيرت لفظه، وأكثر العلماء على أنه مشتق.

قيل: المسيح أصله بالعبرانية: (مشيحا). فعربته العرب وغيرت لفظه، وكما قالوا: موسى، وأصله: (موشى)، أو (ميشى) بالعبرانية، فلما أعربوه غيروه[٣]

سبب التسمية

قيل: سمي عيسى ـ عليه السلام ـ مسيحا؛ لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ.

وقيل: سمي مسيحا؛ لأنه كان يمسح الأرض؛ أي: يقطعها.

فعلى قول هؤلاء، هو: (فعيل) بمعنى: (فاعل)، وقيل: إنه

(فعيل) بمعنى: (مفعول) ، على أنه مسح من الأوزار، وطهر[٤]

وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن[٥].

وقيل: لأنه مسح بالبركة[٦].

(١) زهرة التفاسير: (١٢٢١/٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن: (ص:٥٥٦)

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨٩/٤)

(٤) النكت والعيون: (٣٩٣/١).

(٥) التفسير البسيط: (٢٥٨/٥).

(٦) النكت والعيون: (٣٩٣/١).

خامسًا: أحمد ‘

معنى أحمد ‘

يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه مبالغة من الفاعل، فيكون معناه: إنه أكثر حمدا لله من غيره.

وثانيهما: أنه يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن أكثر مما يحمده غيره.

وأحمد معروف في أسماء نبينا ـ صلوات الله عليه ـ[١]، فقد روي عن جبر بن مطعم. سمى لنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نفسه أسماء فقال: "أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بن الكفر .. " الحديث[٢].

فأحمد هو اسمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي سمي به على لسان عيسى وموسى[٣]

أصل الاسم:

أحمد اسم منقول من صفة لا من فعل ، وتلك الصفة – أفعل – يراد بها التفضيل ، فمعنى أحمد : أي أحمد الحامدين لربه.

والأنبياء ـ عليهم السلام ـ كلهم حامدون للَّه تعالى ، إلا أن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثرهم حمدا ، فيكون هو الأحق بالحمد[٤] ،

والاسم الشريف (أحمد) ليس من الفعل المتعدى، وإنما هو من فُعِلَ المبني للمفعول بمعنى المحمود[٥]،

(١) التفسير البسيط: (٤٣٦/٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – برقم (٣٥٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل باب في أسمائه – صلى الله عليه وسلم – برقم (٢٣٥٥).

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: (٢٣٢/٤).

(٤) تفسير القرطبي: (٨٣/١٨).

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل: (٥٠٠/١).

ومحمد هو البليغ في الحمد ، وهو اسم علم مذكر عربي جاء على وزن اسم المفعول المشتق من فعل حمد الذي يفيد المبالغة في الحمد والثناء نقل من الوصفية إلى الإسمية[١].

فمن سمّي بهذين الاسمين فقد سمّي بأجمع الأسماء لمعاني الفضل.

سبب التسمية

يرجع إلى أن نبينا ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أكثر الخلق حمدا لله ، فيكون هو الأحق بالحمد[٢] ، أما عن الفرق بين محمد وأحمد:

اختلف الناس فيه:

هل هو بمعنى فاعل أو مفعول. فقالت طائفة: هو بمعنى فاعل. أي حمد الله أكثر من حمد غيره له، فمعناه أحمد الحامدين لربه كمحمد في المعنى، إلا أن الفرق بينهم أن محمداً هو المحمود حمداً بعد حمد، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له، وذلك يستلزم كثرة الخصال التي يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل ما يحمده غيره. فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصّفة وفي الكيفية يستحق من الحمد أكثر مما يستحقه غيره فحمده أكثر حمدٍ وأفضل حمدٍ حمده بشر، والاسمان واقعان على المفعول، وهذا أبلغ في مدحه صلى الله عليه وسلم وأكمل معنى. قال: وهو الراجح المختار ولو أريد به معنى الفاعل لسمّي الحمّاد أي كثير الحمد، فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسلم كان أكثر الناس حمداً لربه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به الحمّاد كما سمّيت أمته صلى الله عليه وسلم بذلك. وأيضاً فإن هذين الاسمين إنما اشتقّا من أخلاقه وخصاله صلى الله عليه وسلم التي لأجلها استحق أن يسمّى محمداً وأحمد. وبسط الكلام على ذلك وتحقيق هذا المحل يطول به الكلام فليطلب من كتب النحو المطولة.

(١) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، محمود محمد خطاب السبكي: (١٥٧/٢).

(٢) تفسير القرطبي: (٨٣/١٨).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: سمّي النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد وأحمد لما اشتمل عليه من مسمّاهما وهو الحمد، فإنه صلى الله عليه وسلم محمود عند الله ومحمود عند الملائكة ومحمود عند الأنبياء، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وإن كفر به بعضهم فإن ما فيه من صفات الكمال محمودة عند كل عاقل، وإن كابر عقله جحوداً وعناداً أو جهلا باتصافه بها ولو علم اتصافه بها لحمده، فإنه يحمد من اتصف بصفات الكمال ويجهل وجودها فيه، فهو في الحقيقة حامد له[1].

(١) جلاء الأفهام: (ص١٧٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه يصل المرء إلى أسمى الغايات.

وبعد

ففي ختام هذه الدراسة أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١ـ أن جميع الرسالات السماوية بشرت بنبوة خير البشر صلى الله عليه وسلم.

٢ـ أن الله سبحانه يفعل بمشيئته واختياره ما يريد، فهو تعالى غير مقيد بالأسباب والمسببات والعادات وأحوال الناس؛ لأنه سبحانه وتعالى خالق الناس، وخالق الأسباب، وخالق مجارى العادات التي تجري بينهم، وهذا كان جليا في بشرى إبراهيم وزكريا ومريم ـ عليهم السلام ـ.

٣ ـ أن الاسم له دلالة في نفس المسمى، وفي نفس المجتمع، وعليه ففي هذا إشارة إلى العناية بالأسماء، واختيار الأفضل منها.

قائمة المصادر

مرتبة على حسب الوفيات ومع ذكر الأسماء الأصلية للمصادر دون أسماء الشهرة

١- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري

، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤- الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت

سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٥- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى : ٢٨٥هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة : الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٦- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن

سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٨. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)

٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

١٠. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

١١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)

تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

١٢. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١٣ـ أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأول – ١٤٠٩ هـ

١٤ـ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١٥ـ تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م

١٦ـ تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)

١٧ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

١٨ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

١٩ـ زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٢٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ
٢١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
٢٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٢٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٢٤. النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
٢٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٢٦. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

٢٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٢٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت
٢٩. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.
٣٠. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م
٣١. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م
٣٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
٣٣. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣٤. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٣٥. أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل (ومعه: جواهر الدّرر في مناقب ابن حجر)، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)

المحقق: أحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٣٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٧. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٨. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

٤٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري

عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٤١. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٤٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، محمود محمد خطاب السبكي، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب (مِن بعد الجزء ٦)، الناشر: مطبعة الاستقامة، القاهرة – مصر

الطبعة: الأولى، ١٣٥١ – ١٣٥٣ هـ

٤٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

٤٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

٤٥. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

٤٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير

الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٤٧. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي

٤٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٤٩. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٥٠. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٥١
التمهيد	١٥٥
تعريف البشارة في اللغة والاصطلاح:	١٥٥
أنواع البشارات في القرآن الكريم:	١٥٦
تعريف النبي والرسول والفرق بينهما	١٥٧
المبحث الأول المبشر والمبشر به في القران الكريم	١٥٩
المطلب الأول: تبشير إبراهيم بإسحاق ويعقوب عليهم السلام	١٥٩
المطلب الثاني: تبشير زكريا بيحيي عليهما السلام	١٦١
المطلب الثالث: تبشير مريم بعيسى عليهما السلام	١٦٣
المطلب الرابع: تبشير عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم	١٦٦
المبحث الثاني: أسباب البشارة بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم من الأنبياء	١٦٩
المطلب الأول: سبب تبشير إبراهيم بإسحاق ويعقوب عليهم السلام	١٦٩
المطلب الثاني: سبب تبشير زكريا بيحيي عليهما السلام	١٧١
المطلب الثالث: سبب تبشير مريم بعيسى عليهما السلام	١٧٥
المطلب الرابع: تبشير عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم	١٧٨
المبحث الثالث: أثر البشارة بالولادة على المبَشَّر	١٧٩
المطلب الأول: أثر البشارة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام على إبراهيم عليه السلام.	١٧٩
المطلب الثاني: أثر الشارة بيحيى عليه السلام على نبي الله زكريا عليه السلام.	١٨١

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: موقف مريم عليها السلام من البشارة بعيسى عليه السلام.	١٨٥
المطلب الرابع: موقف عيسى عليه السلام عندما بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم.	١٨٨
المبحث الرابع: سبب تسمية كل من بشر به قبل المولد باسمه.	١٩١
الخاتمة	٢٠٠
قائمة المصادر	٢٠١
فهرس الموضوعات	٢٠٩